عهد ابو عبد الله المخلوع نقلد الوزارة والكتابة واشرك معه في الوزارة ابو سلطان عبد العزيز بن سلطان
الداني فلما توفي ابو سلطان افرده السلطان بالوزارة ولقبه ذا الوزارتين وصار صاحب اموره الى ان توفي
بحضرة غرناطة قتيلا نفعه الله تعالى غدوة يوم الفطر مستهل شوال سنة ثمان وسبعماية وذلك لتاريخ خلع
سلطانه وخلافة اخيه امير المسلمين ابي الجيوش مكانه ومولده برندة سنة ستين وستماية وكان رحمه الله
علما في الفضيلة والسراوة ومكارم الاخلاق كريم النفس واسع الايثار سني الهمة متعالي الهمة كاتبا بليغا
اديبا شاعرا حسن الخط يكتب خطوطا على انواع كلها جميلة الانطباع خطيبا فصيح القلم زاكي الشيم موثرا
لاهل العلم والادب برا باهل الفضل والحسب نفقت بمدته للفضايل اسواق واشرقت بامداده للافاق
آفاق ورحل للمشرق كما سبق فكانت اجازته البحر من المرية فقضى فريضة الحج واخذ عمن لقي هناك من الشيوخ
مشيخة متوازرة وكان رفيقه كامل الخطيب ابا عبد الله بن رشيد الفهري فتعا وناء هذا الغرض وقضيا
منه كل نفل ومفترض واشتركا فيمن اخذا عنهم من الاعلام في كل مقام وكانت له عناية بالرواية وولوع بالادب
وصبابة باقتناء الكتب جمع من امهاتها العتيقة واصولها الرايقة الانيقة ما لم يجمعه في تلك الاعصر
احد سواه ولا ظفرت به يداه اخذ عند الخطيب الصالح ابو اسحق بن ابي العاصي وتدبج معه رفيقه
ابو عبد الله بن رشيد وغير واحد وكان ممدوحا وممن مدحه الرايس ابو محمد عبد المهيمن الحضرمي والرايس ابو
الحسن ابن الجياب وناهيك بهما ومن بديع مدح ابن الجياب له قصيدة رايية رايقة يهنيه فيها بعيد الفطر

منها في اولها

يا قادما عمت الدنيا بشايره ، اهلا بمقدمك الميمون طايره
ومرحبا بك من عيد تحف به ، من السعادة اجناد تظافره
قدمت فالخلق في نعمى وفي جذل ، ابدى بك البشر باديه وحاضره
والارض قد لبست اثواب سندسها ، والروض قد بسمت منه ازاهره
حاكت يد الغيث في ساحاته حللا ، لما سقاها دراكا منه باكره
فلاح فيها من الانوار باهرها ، وفاح فيها من النوار عاطره
وقام فيها خطيب الطير مرتجلا ، والزهر قد رصعت منه منابره
موشي ثوب طواه الدهر آونة ، فها هو اليوم للابصار ناشره
فالغصن من نشوة يثني معاطفه ، والطير من طرب تشدو مزاهره
كما بدت لك من خل ضمايره ، والكمام انشقاق عن ازاهرها
لله يومك ما ازكى فضايله ، قامت لدين الهدى فيه شعايره
فكم سريرة فضل فيك قد خبئت ، وكم جمال بدا للناس ظاهره
فالفخر يحوق على الايام قاطبة ، فما لفضلك من ند يظاهره
فانت في عصرنا كابن الحكيم اذا ، قيست بفخر اولي العليا مفاخره
يلتاح منه بافق الملك نور هدى ، فضال الشمس بهما لاح زاهره
مجد صميم على عرش السماك سما ، طالت مبانيه واستعلت مظاهره
وزارة الدين والعلم الذي رفعت ، اعلامه والندى الفياض زاخره
وليس هذا ببدع من مكارمه ، سادت اوايله قبلا اواخره
بلغي الامور بصدر منه منشرح ، بحر واراؤه العظمى جواهره
راعا امور الرعايا معملا نظرا ، كمثل علياه معدوم نظايره
والملك سيرت في تدبيره حكما ، تنال ما عجزت عنه عساكره
سياسة الحكم لا يطغى يكيدها ، فهو المهيب وما تخشى بوادره
لا يصدر الملك الا عن اشارته ، فالرشد لا تتعداه مصايره
تجري الامور على اقصى ارادته ، كانما دهره فيه يشاوره
وكم مقام له في كل معترك ، انست موارده فيه مصادره
نفصلها طبق الافاق اجمعها ، كانه مثل قد سار سايره
فليس يجحد الا اخو حسد ، يرى الصباح فيغشي منه ناظره
لا ملك اكرم من ملك يدبره ، يا حسن ملك به ازدانت محاضره
تثني البلاد واهلوها بما عرفوا ، ويشهد الدهر آتيه وغابره
بشرى لآمله الموصول ما امله ، نعشا لحاسده المقطوع دابره
فالعلم قد اشرقت نورا مطالعه ، والجو قد اسبلت سحا مواطره
والناس في بشر والملك في ظفر ، عال على كل عالي القدر قاهره
والارض قد مليت امنا جوانبها ، يمنى من خلصت فيها سرايره
والى اياديه من مثنى وموحدة ، تساجل البحر ان فاضت زواخره
فكل يوم تلقانا عوارفه ، كاه اموالها الطولى دفاتره
لمن يودي كما اولاه من نعم ، شكرا ولو ان سحبانا يظاهره
يا ايها العيد بادر لثم راحته ، فلثمها خير مامول تبادره
والفخر بان قد لقيت ابن الحكيم على ، عصر يباهيك او زهر تفاخره
ولي الصيام وقد عظمت حرمته ، فاجزل له وافيه ووافره
واقبل العيد فاستقبل به جذلا ، واهنا به قادما عمت بشايره

ومن نثر ذي الوزارتين آخر اجازة ما صورته وها انا اجري معه على حسن معتقده والكله في
هذا الغرض الى ما راه بمقتضى توده واجيز له ولولديه اقر الله بهما عينه وجمع بينهما وبينه رواية
جميع ما نقلته وحملته وحسن اطلاعه يفصل من ذلك ما اجملته فقد اطلقت لهم الاذن في جميعه وابحت
لهم الحمل عني ولهم الاختيار في تنويعه والله سبحانه يخلص اعمالنا لذاته ويجعلها في ابتغاء مرضاته قال
هذا محمد بن عبد الرحمن بن الحكيم حامدا لله عز وجل ومصليا ومن شعر ذي الوزارتين ابن الحكيم قوله

ما احسن العقل وآثاره ، لو لازم الانسان ايثاره
يصون بالعقل الفتى نفسه ، كما يصون الحر اسراره
لا سيما ان كان في غربة ، يحتاج ان يعرف مقداره

وقوله رحمه الله تعالى

يقول خير الورى في سنة ثبتت ، اني لاعسر احيانا فيلحقني
يسر من الله ان العسر قد زالا ، انفق ولا تخش من ذي العرش اقلالا

وهو من احسن ما قال رحمه الله

ومن شعر ذي الوزارتين المذكور قوله رحمه الله تعالى

فقدت حياتي بالفراق ومن غدا

عال

عال النوى عمن يحب فقد فقد ، ومن اجل بعدك عن ديار الفتها
جحيم فوادي قد تلظى وقد وقد ، اواري اواري بالدموع تجلدا
وقد سبقه الى هذا القايل ، وكم رمت اطفاء اللهيب وقد وقد
فلا تعذلوا من غاب عنه حبيبه ، لمن فقد المحبوب مثلي فقد فقد

كذا رواه ابن خاتمة ورواه غيره هكذا اواري اواري والدموع تبينه وهو الصواب قال ابن خاتمة وانشدني رئيس الكتاب الصدر
البليغ الفاضل ابو القاسم عبد الله بن يوسف بن رضوان البخاري قال انشدني رئيس الكتاب الجليل ابو محمد
عبد المهيمن بن محمد الحضرمي قال انشدني رئيس الكتاب ذو الوزارتين ابو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن الحكيم رحمه الله

مع الكتاب وعنه ، واختم على مكتنه
واحذر رعاك من محا ، لسنة الرقيب بجفنه
واجعل لسانك بجنه ، كي لا ترى في سجنه

قال ابن خاتمة وفي سند هذه القطعة نوع
غريب من التسلسل وحكي ان ذا الوزارتين المذكور لما اجتمع مع الفقيه الجليل الكاتب ابن ابي مدين
انشده ابن ابي مدين

عشقتكم بالسمع قبل لقاكم ، وسمع الفتى يهوى لعمري كطرفه
وحببني ذكر الجليس اليكم ، فلما التقينا كنتم فوق وصفه

فانشده ذو الوزارتين ابن الحكيم

ما زلت اسمع عن علياك كل سني ، ابهى من الشمس او اجلى من القمر
حتى راى بصري فوق الذي سمعت ، اذني فوفق بين السمع والبصر

ويعجبني في قريب من هذا المعنى قول الحاج الكاتب ابي اسحق الحاوي
رحمه الله تعالى

لا انشد المرء يلقاني ويبصرني ، والنفث في عقد من منطق الحسن
سحر البيان بشاني صار يعقده ، انا المعيدي فاسمع بي ولا ترني

وقال لسان الدين في عايد
الصلة في حق ذي الوزارتين ابن الحكيم ما صورته كان رحمه الله فريد دهره سماحة وبشاشة ولوذعية
وانطباعا رقيق الحاشية نافذ العزمة مهتزا للمديح طلقا للآمل كهفا للغريب برمكي المايدة مهلبي
الحلوى ريان من الادب مضطلعا بالرواية مستكثرا من الفايدة يقوم على المسايل الفقهية ويتقدم
الناس في باب التحسين والتقبيح ورفع راية الحديث والتحديث نفق بضاعة الطلب واحيى معالم الادب
واكرم العلم والعلماء ولم تشغله السياسة عن النظر ولا عاقه تدبير الملك عن المطالعة والسماع وافرط
في اقتناء الكتب حتى ضاقت قصوره عن خزانتها واثرت اندية من ذخايرها قام له الدهر على رجل واخذ منه
صدور البيوتات واعلام الرياسات وخوطب من البلاد النازحة وامل في الآفاق النايية انتهى المقصود منه

ومن احسن ما رثي به الوزير ابن الحكيم قول بعضهم

قتلوك ظلما واعتدوا ، في قتلهم حد الوجوب
ورموك اشلاء وذا ، امر قضته لك الغيوب
ان لم يكن لك سيدي ، قبر فقبرك في القلوب

وقال لسان الدين في
الاحاطة في حق رحلة ذي الوزارتين ابن الحكيم ما صورته رحل الى الحجاز الشريف من بلده على فتاء
سنه اول عام ثلاثة وثمانين وستماية فحج وزار وتجول في بلاد المشرق منتجعا عوالي الروايات في مظانها
ومستفرغا منها عند مسني شيوخها وقيد الاناشيد الغريبة والابيات المرقصة واقام بمكة شرفها الله
من شهر رمضان الى انقضاء الموسم فاخذ بها عن جماعة وانصرف الى المدينة المشرفة ثم قفل مع الركب الشامي
الدمشقي ثم كر الى المغرب لا يمر بمجلس علم او تعلم الا روى او روي واحتل رندة حرسها الله تعالى عام خمس
وثمانين وستماية واقام بها عينا قرابته وعلما في اهله معظما لديهم الى ان اوقع السلطان بالوزراء من بني
حبيب الوقيعة البرمكية وورد رندة في اثر ذلك فتعرض اليه وهناه بقصيدة طويلة من اوليات شعره
اولها

هل الى رد عشيات الوصال ، سبب ام ذاك من ضرب المحال

فلما انشدها اعجب به وبحسن خطه ونصاعة ظرفه فاثنى عليه واستدعاه الى الوفادة على حضرته
فوفد آخر عام ست وثمانين فاثبته في خواص دولته واحظاه لديه الى ان رقاه الى الكتابة الانشائية بابه واستمرت
حاله معظم القدر مخصوصا بالمزية الى ان توفي السلطان ثاني الملوك من بني النصر وتقلد الملك بعده
ولي عهده ابو عبد الله فزاد في احظايه وتقريبه وجمع له بين الكتابة والوزارة ولقبه بذي الوزارتين واعطاه
العلامة وقلده الامر فبعد الصيت وطاب الذكر الى ان كان من امره ما كان انتهى ملخصا وقال في الاحاطة
بعد كلام طويل في ترجمة شيخنا الوزير ابو بكر ابن الحكيم ولدي وجدت بخطه رحمه الله رسالة
خاطب بها اخاه الاكبر ابا اسحق ابراهيم افتتحها بقصيدة اولها

ذكر اللوى شوقا الى اقماره ، فقضى اسى او كاد من تذكاره
وعلا زفير حريق نار ضلوعه ، وقد ذكرناها في غير هذا المحل

وقال مما يكتب على قوس

انا عدة للدين في يد من غدا ، لله معتمدا على اعدائه
احكي الهلال واسهمي في رجمها ، لمن اعتدى تحكي رجوم سمائه
تدجاة في القرآن الى عدة ، اذ نص خير الخلق محكم آيه
واذا العدو اصابه سهمي فقد ، سبق القضاء بهلكه وفنائه

قال لسان الدين ومن توقيعه ما نقلته من خطه ولم يسمّ ابا بكر في كتابه المسمى بالموارد المستعذبة
وكان بوادي آش الفقيه الظريف مكتب الى خاصة والدي ابي جعفر بن داود قصيدة علوية الين بتشكى
فيها من مشرف بلدهم اذ ذاك ابي القاسم بن حسان منها

فيا صفي ابي العباس كيف ترى ، توى وانت الكيس من فيها اكياس
ولو ان كان ممن سترتضونه به ، فقد دنى الفتح للاشراف في فاس

ومنها يستطرد ذكر ذي الوزارتين للشرق فضل لمنه اشرقت شهب ، من نوره اقتبسونا كل مقتبس
فوقع عليها رحمه الله تعالى

وان تنزل به ذو جروة قدم ، فالامر يكسوه ثوب الذكر والباس
انا اوطت بابن حسان غوايله ، كان الجزاء له ضربا على الراس
فقد اقامنى المولى بنعمته

Copyright King Saud University